دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الاحلام التنبؤئية والإستكشافية : دراسة نفسية إنثروبولوجية
المصدر:	مجلة الإرشاد النفسي
الناشر:	جامعة عين شمس - مركز الإرشاد النفسي
المؤلف الرئيسي:	الغانمي، باسم فارس جاسم
المجلد/العدد:	ع36
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2013
الشهر:	ديسمبر
الصفحات:	449 - 484
رقم MD:	644241
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EduSearch
مواضيع:	علم الإنثروبولوجية ، الأحلام التنبؤية ، الأحلام الإستكشافية ، الظواهر النفسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/644241

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الأحلام التنبؤية والاستكشافية

(دراسة نفسية إنثروبولوجية)

أ.م. د. باسم فارس جاسم الغانمي

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

ملخص:

اتضح من هذه الدراسة أن المجتمعات المتحضرة القديمة قد اهتمت بتأويل الأحلام كما عند البابليين والأشوريين والفراعنة واليونان من خلال استعراض نماذج من مدوناتها الأثرية، واتضح أيضاً أن مصادر الأديان السماوية قد تناولت هذه الظاهرة، ويعني ذلك الإقرار بها كظاهرة نفسية، ولكن التأويلات الدينية انحصرت في الأحلام التنبؤية (الرمزية).

وقد نالت اهتمام الفلاسفة اليونانيين قبل الميلاد والفلاسفة المسلمين في القرن الثالث، أما الفلاسفة الأوربيون فقد اهتموا بها في عصر النهضة وما بعدها ولكنهم اختلفوا في واقعيتها.

وقد أدى هذا الاهتمام من أصحاب الفكر إلى اعتقاد العامة بها وانسحب ذلك على سلوكهم مما أدخل التوجس والتطير من الأحلام وذلك سلوك معوق للنمو وقد عالجته الدراسة بالتفريق بين الأحلام العادية والأحلام الاستشفافية.

كما عرضت الدراسة سبعة أحلام تم توثيقها من علماء النفس البارزين ومن المهتمين بالأحلام الإستشفافية، فضلاً عن حلم واحد للمؤلف مما يجيب على تساؤل واقعية هذه الأحلام.

الأحلام التنبؤية والاستكشافية
(دراسة نفسية إنثروبولوجية)

أ.م. د. باسم فارس جاسم الغانمي
كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

مقدمة:

الأحلام ظاهرة نفسية مشوقة وغريبة في سلوك الانسان، تخفيه وتكدره وتفرحه، وذلك من وظيفتها العادية، أما وظيفة (الأخبار عن المستقبل) ذلك ما شوق الإنسان إليها وعدها لغزاً محيراً فأثارت رعايته، وحاول تفسيرها والتعرف على ديناميتها، كان البدء موغلا في القدم إلا أن ما وصلنا يرجع إلى عهد الحضارات القديمة في وادي الرافدين (بابل، آشور، أكد) ووادي النيل تليها رعاية اليونانيين والحضارات الأخرى.

ورعايتهم لا ترجع إلى عوامل فكرية ترفيه وإنما شكلت الأحلام بعدا من معتقداتهم وقراراتهم في تولي الحكم والدين وإدارة الدولة، فكانوا لا يقضون بأمر مهم كالحرب أو السلم إلا بعد أن ينظروا ماذا تقرر الآلهة وسبيلهم إلى ذلك الأحلام.

ولم يقتصر ذلك على المجتمعات القديمة بل غدت الأحلام جزءاً من معتقدات المجتمعات البشرية على مختلف العصور فأثرت على بعض القرارات على البعد الشخصي أو البعد الاجتماعي وذلك ما يتناوله علم النفس بدراسات عديدة وبجدية كبيرة.

كما جاء في النصوص الدينية إقرار بظاهرة الأحلام الاستشفافية مما اكسبها تعميقا بالاعتقاد لدى الناس، إضافة إلى أن النصوص الدينية شذبت الأحلام من سلوكيات وطقوس كانت في الحضارات القديمة، وأماطت عن مصدرها فهو من الأعلى على الأسفل وليس حسب طلب الكهنة وطقوسهم وتحريفاتهم الذاتية.

والتقت روافد الاعتقاد الشعبي والديني ليكسب الأحلام نوعا من القدسية، وغدت جزءاً مهماً من مسيرة الفكر الإنساني، ما حدا بالفلاسفة على امتداد عهودهم إلى تناول وتعليل ظاهرة الأحلام وقبولها أو رفضها، إلى أن نالت ظاهرة الأحلام عموماً شيئاً من المنهجية النظرية المحددة بمفهوم الطاقة النفسية الجنسية

(Libido) على يد (فرويد) عام 1900، ولكنه لم يستقر على رأي بشأن الأحلام التنبؤية إلا أنه أقر بظاهرة (التخاطر).

ولذا أصبحت الأحلام بعداً مساعداً للتعرف على سلوك الفرد، رغباته وإضراباته كحالة القلق والكدر والشك في الآخر والتوجس من أحداث الحياة، وصارت الظاهرة التنبؤية مجالاً واسعاً ومهماً في علم الباراسايكولوجي واستقر الاهتمام الحديث بها في مجال الدراسات الفسيولوجية والفيزيائية.

أبعاد الدراسة وأهميتها:

تناولت هذه الدراسة سيكولوجية الاعتقاد بالأحلام الاستشفافية من المنظور الإنثروبولوجي والنفسي مبنية تأثيرها على السلوك الجمعي (في المجال الاجتماعي والديني) من خلال عرض نماذج منتقاة.

وتناولت بعض المفاهيم التي تساعد على تأويل الحلم ومنها (مفهوم الرمزية) انثروبولوجياً واستمرارية هذا المفهوم قديماً وحديثاً.

كما طرحت مفهوم (وحدة المطابقة) بين الحدث الواقعي والرؤيا والتي تحصل عادة في الأحلام ذات (المحتوى الصريح) تجنباً لرمزية الأحلام والتي تخضع إلى تأويلات ذاتية مختلفة باختلاف أسلوب الفرد المعرفي وثقافة المجتمع، وقد تناولنا هذا المفهوم في دراسة سابقة (جاسم، ص 50).

وحاولت هذه الدراسة تصنيف الأحلام الاستشفافية إلى بعدين (الاستكشافية والتنبؤية) بناءاً على معطيات منهجية بطرح ضوابط تمييز الأحلام الاستشفافية عن الأحلام العادية، وما تقدم من(مفهوم الرمزية ووحدة المطابقة وضوابط التمييز) يساعد على عزل أنواع الأحلام وسبل دراستها وآلية التأويل ومستوى الاعتقاد وتحديد الأثر النفسي على الحالم.

وتوثيقاً لمفهوم الأحلام التنبؤية والاستكشافية عرضت الدراسة ثمانية أحلام نادرة موثقة بأسلوب منهجي من العلماء النفسيين أو المهتمين بالأحلام، وذلك ما نبني عليه دلالة مهمة وهي واقعية هذه الأحلام.

وقد قيم عالما النفس (هول وليندزي) واقعية وصعوبة توثيق الأحلام التنبؤية بقولهما (إن من المعتقدات الشائعة عن الأحلام، أنها تتيح أحياناً بياناً دقيقاً لأحداث وقعت في أماكن بعيدة وأن ذلك فرض قابل للاختبار ويمكن أن يكون ذا دلالة عظيمة إذا تحقق، فليس من السهل أن تتوافر البيانات المناسبة لذلك أو أنها مشكلة غير تقليدية تجعل أغلب علماء النفس يبتعدون عنها) (هول وليندزي، ص 263).

وتضمنت الدراسة بعداً في معالجة الاعتقاد بناءاً على النظرية المعرفية المتمثلة بتحليل السلوك المعرفي على وفق (المدخلات أو المعلومات) مروراً بعملية (المعالجة) وانتهاءاً (بمخرجات) سلوكية معرفية وذلك لمناقشة تأثير هذه الأحلام على السلوك الفردي أو الجمعي.

وتطلب ذلك طرح مفهوم فلسفي- كلامي لمناقشة حالة التشاؤم من الأحلام من خلال عرض مفهوم القضاء والقدر مع علمنا صعوبة هذا المسلك الفكري مع متعته الفلسفية، لأن من أهداف علم النفس تحقيق السلامة النفسية للفرد في التفكير والسلوك.

أهداف الدراسة:

تحددت أهداف الدراسة بما يأتي:

أ- البعد الإنثروبولوجي: عرض معتقدات الحضارات القديمة والنصوص الدينية وما طرحه الفلاسفة ومؤولو الأحلام.

ب- البعد المنهجي: عرض بعض الأحلام الموثقة من قبل العلماء والمختصين.

ج- البعد المعرفي- النفسي: تأثير المعتقدات (المدخلات المعرفية Inputs) على سلوك الفرد والجماعات ومعالجة آثار الاعتقاد السلبي للأحلام على السلوك.

والأسئلة التالية تغطي محاور أهداف الدراسة:

أسئلة الدراسة:

- هل اهتمت الحضارات القديمة بالأحلام الاستشفافية؟
- هل تناولت الأديان السماوية هذا النوع من الأحلام.
- ما رأي بعض الفلاسفة بالأحلام الاستشفافية؟
- ما مصادر تكوين الأحلام وضوابط التمييز بين الأحلام العادية والاستشفافية؟
- ما منهجية مفهوم الرمزية ومفهوم وحدة المطابقة وتوظيفهما في التمييز؟
- ما مدى التوثيق العلمي للأحلام الاستشفافية من قبل المختصين؟
- هل يقود الاعتقاد بالأحلام إلى التأثير على السلوك الفردي أو الاجتماعي؟
- ما التصور الفلسفي لإزاحة التوقع التشاؤمي من الأحلام عند بعض الأفراد؟

وقد حاولت هذه الدراسة الإجابة على محاور هذه الأسئلة ومناقشتها بصيغة منفردة أو تعقيبات موزعة حسب متطلبات البعد.

حدود الدراسة: تقتصر الدراسة الحالية على:

- عرض تاريخي أنثروبولوجي لنماذج بعض الأحلام الاستشفافية وتأويلاتها.
- عرض ثمانية من الأحلام التنبؤية والاستكشافية الموثقة علمياً.

مصطلحات الدراسة:

الحلم: سلوك لاشعوري يحصل للفرد في أثناء النوم.

حالة التخاطر (Telepathy): انتقال فكرة من شخص إلى أخر (دافيدوف، ص 284) دون وجود أي وسيلة فيزيائية معروفة ودون مسافة محددة، وقد تكون صوراً أيضاً أو حدثاً.

ظاهرة الاستشفافية (Claivoyance): من ظواهر الإدراك الحسي الفائق ووظفت كمفهوم يعني (الكشف) عن الأحداث أو الصور أو (التخاطر) يعني انتقال الأفكار في اليقظة أو النوم ومن ضمنها (التنبؤ الواعي) والكشف وراء حواجز وكذلك (الأحلام التنبؤية)، فهي مفهوم عام يغطي مجالاً واسعاً من الدراسات الباراسايكولوجية.

الحلم الاستشفافي (Detection Dream):

مفهوم يعبر عن الأحلام التي تنبئ عن حدث ما (دون أن تفرق بمتغير زمن الحلم قبل أو بعد الحدث).

وقد ساد استخدامه في طروحات المجال الباراسايكولوجي، والمتتبع للأحلام يجد أن هذا المعني يتسم بالشمولية، ولذا وجدنا أن الأحلام الاستشفافية ذات فئتين:

أ- من حيث التخاطر خصوصاً إذ تنتقل الفكرة أو الحدث تخاطرياً من شخص إلى آخر بالتزامن أو تخاطر لاحق وهذا الذي يميز الأحلام الاستكشافية.

ب- ومن حيث سبق الحلم لزمن الحدث والمدة الفاصلة بينهما وهذا الذي يميز الأحلام التنبؤية.

ولهذا أدرجنا التصنيفين التاليين:

1- **الحلم الاستكشافي (Exploratory Dream)**:

سلوك يحصل لا شعورياً في أثناء النوم تتطابق أجزاؤه كلاً أو بعضاً مع الأحداث الواقعية التي تحصل (أثناء حصول الحلم أو بعده وهو الغالب) دون أن تكون عند الفرد معلومات حسية مسبقة (رمزية أو صريحة) تتعلق بالحدث الواقعي.

2- **الحلم التنبؤي (Predictive Dream)**:

سلوك يحصل لاشعورياً في أثناء النوم تتطابق أجزاؤه كلاً أو بعضاً مع الأحداث الواقعية التي تحصل (بعد حصول الحلم عند النائم) دون أن تكون عند الفرد معلومات حسية مسبقة (رمزية أو صريحة) تتعلق بالحدث الواقعي ويحصل الحلم قبل حدوث الحدث الواقعي بمدة من الزمن قد تمتد من عدة ساعات إلى سنة.

3- **الحلم الإبداعي (Creative Dream)**:

سلوك يحصل لاشعورياً في أثناء النوم يكون نتاجاً لفكرة أو حلاً لمشكلةْ ما يفكر بها الشخص قبل النوم.

4- **الحلم العادي أو المألوف (Normal Dream)**:

سلوك يحصل لاشعورياً في أثناء النوم بسبب منبهات نفسية وحسية (خارجية وداخلية) انظر مصادر الحلم العادي لاحقاً.

5- **الرمزية (Symbolic)**:

استعمال الحلم للرموز كوسيلة للتعبير وهذه الرموز قد تكون عامة عند كل الناس (الأسد أو الذئاب كرمز للأب) وقد تكون خاصة بثقافة معينة أو خاصة بخبرة الفرد (مخيمر، 1975، ص197). والمعني الخاص لأي رمز يفهم من السياق الكلي مع مراعاة التجارب الخاصة للفرد (فروم، 1990، ص23). فقد تكون الكلمة رمزاً إذا كانت شائعة والصورة كذلك وإن العلم يرمز لبد معين مع العلم ليس هناك علاقة بين ألوان العلم والبلد (فروم، 1990، ص19) ونجدها في الأغاني والأساطير والطرائف والأمثال وتختلط الرمزية بالإحساسات السمعية أو البصرية أو الشمية في أثناء النوم فتشوش آلية الحلم والتأويل الشعبي في مجتمعاتنا يعتمد على الرمزية في كثير من تفسيراته للأحلام.

6- **وحدة المطابقة (Similar Unit)**:

وتعني تطابق وحدات الحلم مع وحدات الحدث جزئياً أو كلياً بشكل صريح وواضح ومن المستبعد توقعها (جاسم، ص 50).

7- **الإنثروبولوجيا الثقافية (Cultural Anthropology)**:

تعي دراسة المعتقدات والعادات والتقاليد والأساطير والأخلاق والفن والقانون في مجتمع معين لمدة قديمة أو لمدة حاضرة، أو مقارنة هذه المكونات بين مجتمعين معاصرين أو قديمين.

- **رأي بعض الفلاسفة في الأحلام التنبؤية**:

تناول بعض الفلاسفة ظاهرة الأحلام الاستشفافية من حيث القبول والرفض:

قال أرسطو: إن الأحلام ليست مبعوثة من الآلهة (فرويد، ص44).

أما ابن سينا فيقول:

(والتجربة والقياس متطابقان على أن النفس الإنسانية أن تنال من الغيب نيلا ما في حالة النوم فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حالة اليقظة) (ابن سينا، ج3)، ص299).

فهو يحتج بصحة استكشاف الغيب في حالة اليقظة استناداً بصحة الحلم أثناء النوم.

ورفض (شيشرون) هذا النوع من الأحلام التنبؤية ففي قصيدته (عن التنبؤ بالأحلام) أشار إلى الأحلام لا تستحق أي تصديق أو انتباه (فروم، ص 96).

واعتقد (توما الاكويني) أن بعض الأحلام مرسلة من الله (فروم، ص 102).

إلا أن (كانت) أنكر أي وحي مقدس للأحلام (فروم، ص103).

أما (برجسون) فله تصور خاص حيث يقر (اللحن المنشود) الذي ألفه "تارنتيني" في الحلم (القرن التاسع عشر) ويذكر أيضاً أن "ستيفاسون" عمل بعض قصصه أصالة وخططها في أثناء الحلم (برجسون، ص 111) وهذا النوع من الأحلام هو من الأحلام الإبداعية (التفكير قبل النوم) وهو لا يستغرب أيضاً ما ينبئ به الحلم من التهاب الحنجرة أو الغدة النكافية أو الصرع (برجسون، ص 109) وهذا النوع من الأحلام الاستكشافية ذات مصادر حسية، ولا يدخل ضمن أهداف الدراسة الحالية.

وجهات نظر في تعليل ظاهرة الحلم التنبؤي:

- **ديمقريطس** (370 ق.م): فسر ظاهرة التخاطر في الحلم بنظرة فيزيائية تفيد: أن هذه الذرات تصدر صوراً عن نفسها إذ يدفعها الكائن الحي عندما يكون مشحوناً عاطفياً وحينئذ تنقل إلى الحالم عبر مسامات جسمه. (كمال، علي، ص 628).
- **أرسطو** (322 ق.م): يشبه الأحلام التخاطرية بموجات مماثلة لرقاقات الماء تنتشر في هواء الليل أو النهار وتصل إلى روح النائم وإن النائمين أكثر تحسساً لها (كمال، علي، ص 629) وهذا التعليل أيضا من المنظور الفيزيائي ولديه رأي آخر خلاف هذا.
- **فرويد**: يرى إن ظاهرة التخاطر في أغلب الظن عملية فيزيقية تتوسط حدثين بين شخصين شبيهة بالتكلم والاستماع بالهاتف وهي وسيلة الاتصال للتفاهم بين الأفراد قديماً.

وتراجع هذا الأسلوب في أثناء تطور النوع الإنساني (Freud, P.80) وله رأي خلاف هذا في موقف آخر. ويشير إلى أنه قد نوفق عما قريب إلى تعليل سايكولوجي طبيعي لطائفة من الحالات (فرويد، ص 112).

- **فروم**: يرى إن بعض الأحلام ذات علامات حوادث مستقبلية إلا أنه ينبغي معرفة أن سبب الأحلام يكون داخلياً أو خارجياً فإذا تطابق الحلم مع الحادثة فذلك يعني المصادفة (فروم، ص101) وبناءً على المكتشفات الفيزيائية الحديثة يمكن أن يكون التصور لمثل هذه الظواهر قريباً لإدراكنا.

مصادر تكوين الأحلام العادية وآلياتها وضوابط تمييزها:

(**إذا علمنا كيفية تكوين الحلم عرفنا نوعه وتأويله**).

إن معرفة أساليب تأويل الحلم منهجياً يتطلب أن نتعرف على مصادر الحلم الحسية والنفسية وآلياته وشروط التمييز بين الأحلام العادية والأحلام الاستشفافية.

وما تقدم أحد محاور أهداف الدراسة المتمثلة بإزاحة التوقع التشاؤمي من الأحلام العادية.

مصادر الحلم العادي (المنبهات النفسية والحسية الخارجية والداخلية):

1- أحداث اليوم السابق للحلم (رؤيا أو سماع قول أو حدث قبل ليلة الحلم). ص 204.

2- مادة الطفولة: قد تظهر في الحلم انطباعات ترجع لحياة الطفولة الأولى، تبدو بعيدة عن متناول الذاكرة في اليقظة (فرويد، ص209).

3- الرغبة: إن بعض الأحلام تحقق الرغبات بشكل صريح وأحلاماً أخرى يختفي فيها تحقيق الرغبة ويظل مقنعاً (فريود، ص 541).

4- العوامل الفيزيائية: قد ينفذ ضوء ساطع إلى العين فيتمثل كالحريق في الحلم أو صوت جرس الباب يتمثل بجرس المدرسة أو منبه مركبة أو تعرض النائم إلى أشعة الشمس.

5- التهيجات الحسية الداخلية: فالمصابون بأمراض الرئتين يحلمون بالاختناق والزكام، والتهيج الجنسي في محتوى الحلم يستطيع كل امرئ أن يقدره بالرجوع إلى خبرته (فرويد، ص 239) ونوعية الطعام وكثرته أو حالة الجوع أو العطش.

الآليات النفسية العاملة في الحلم:

يتطلب فهم الحلم أو تفسيره التعرف بالآليات النفسية التي تعمل على تكوين الحلم وإخراجه على الشكل الذي هو عليه ويعتقد فرويد أنها قوانين تحدث في اللاشعور وتفسر معظم ما يبدو لنا غريباً في الحلم (فرويد، ص 37) كآلية التكثيف (ص 292) والإزاحة والرمزية والرقابة وآلية الإخراج (فرويد، ص 35، ص 65، ص 148).

فحين (يخطر على بالي صديق، ولدي رغبة في شراء حاجة ما، وشاهدت حادثة مركبة في فلم قبل النوم) يكثفها الحلم ويدمجها ويخرجها على النحو التالي:

(أنا في سوق المدينة لشراء حاجتي (تحقيق رغبة) وظهر صديقي فجأة فالتقينا (خاطرة قبل النوم) وكان مكان اللقاء قرب مدرستي الابتدائية (ذكريات طفولة) وتسقط بعض الصناديق في الشارع (إزاحة لحادث المركبة لموضوع أخف تأثيراً لتطمين الحالم).

ضوابط وشروط تمييز الحلم التنبؤي أو الاستكشافي عن الحلم العادي:

ونعني بها أسس وقواعد تحليل محتوى الحلم ووحدة المطابقة:

أ- أن تكون وحدة المطابقة متشابهة (الفكرة والحدث) بين الحلم والحدث الواقعي وتعني أن تكون وحدة من وحدات الحلم مطابقة مع وحدة من وحدات الحدث الواقعي.

ب- أن تكون وحدة المطابقة بعيدة الاحتمال أو التوقع.

ج- أن تكون فكرة الوحدة في الحلم غير مشوشة إذ تمثل موضوعاً يمكن ملاحظته والتعرف به.

د- ليس هناك منبهات حسية سابقة (بصرية أو سمعية أو لمسية) قبل النوم لأنها تكون بمثابة عوامل نغازة لعملية إخراج الحلم (جاسم، ص 49).

هـ- استبعاد الأحلام ذات الأفكار الرمزية مثلاً (السمك يرمز للرزق).

و- استبعاد أفكار الحلم التي تحصل أحداثها في الحياة اليومية بشكل اعتيادي ومتوقع مثل (الحلم بالرسوب في مادة الرياضيات، والحالم أساساً ذو مستوى ضعيف أكاديمياً في هذه المادة أو بمقتل عسكري في أثناء الحروب) (جاسم، ص 48).

ز- أو أن تكون أفكاراً متعددة ولكنها مترابطة وتعد فكرة واحدة تمثل وحدة مطابقة.

ح- أو أن تكون احتمالات كثيرة ممكنة أو توقعات متعددة ويحصل الحلم بواحدة منها.

كحلم فتاة أن صديقتها ولدت توأمين ذكرين فإن هذا الاحتمال واحداً من عدة احتمالات. ولهذا تعد فكرة (توأمين ذكور) وحدة مطابقة (جاسم، ص 63) وقد حصل هذا الحلم عام 1998 قبل شيوع تقنية كشف الأجنة.

الأحلام الاستشفافية في الحضارات القديمة:

حين ظهرت الكتابة السومرية بحدود (2370 ق.م) (سوسة، ص 153) دون الإنسان البابلي شؤونه ومنها الأحلام كما تؤيدها المدونات البابلية، وقد عرض (أوبنهايم) مدونات حجرية عن الأحلام عند الأشوريين (Oppenheim, 1956)، ودون الفراعنة أحلامهم على ورق من البردي.

واستجاب لها الإنسان بأشكال مختلفة فكان يعزوها لقوى خارقة لا يستطيع ردها وأحياناً يعزوها للأرواح الشريرة أو تماس مع الآلهة (Oppenheim, 1956, p: 206) فهي تنذره تارة وتحذره تارة أخرى، كما أن تاريخ البشرية حافل بالمدونات التي تفيد باعتقادهم بأن الأحلام تنبئ بالمستقبل خيراً أو شراً.

فكان الملك يطلب من الرائين أن يضعوا أنفسهم في حالة استلام الإيعازات، عن طريق الأحلام ويجري ذلك الطقس في الهيكل، وكان العراف يجهد نفسه لأجل رؤيا لصالح الملك، إذ عليه أن يغتسل فجراً ويدهن نفسه ويضع في فمه شيئاً من الأرز يلعسه وهو صائم وغيرها من الطقوس فتحصل الرؤيا، فيقصها وتبدأ التأويلات سلباً أو إيجاباً (روثن، ص 58).

• الأحلام التنبؤية عند البابليين:

في حضارات وادي الرافدين القديمة اعتقد الإنسان بالأحلام وفسرت الأحلام بأنها أنباء المستقبل تخبرها الآلهة، تخبرهم بالموت والحياة والحرب والسلم والنصر والهزيمة والجفاف والفيضان، وأن قرار إعادة بناء معبد كان في الواقع يتخذه الإله الذي كان يخبر الملك بما هو مطلوب، ومن الأمثلة المعروفة عن التعليمات المقدسة لبناء معبد هو ما ورد في حلم جوديا (أحد ملوك لكش السومرية 2144- 2124ق.م):

ظهر في الحلم رجل ضخم بقدر السماء، ضخم بقدر الأرض... وأمرني أن أشيد معبداً.... لذا التجأ جوديا لمعبد الآلهة التي تعتني بالدرجة الأولى بالأحلام لتأكيد وتوضيح معنى حلمه (ساكز، ص 418) بتصرف.

وفي ملحمة كلكامش وردت النصوص الآتية:

- يروي كلكامش لصديقه إنكيدو هذا الحلم الأول الذي رآه:

... (كنا نتقدم) في أغوار الجبل،

حينما انهار الجبل (على كلينا)،

إلا (أننا طرنا) مثل ذباب القصب،

إنه حلم نفيس (من كل جهة)،

صديقي إن الجبل الذي رأيته (في الحلم)،

يعني أننا سنطير على خمبابا، وإننا (سنقتله)،

و(أننا سنلقي) جثته في السهل (لابات، ص 196) بتصرف. وخمبابا هو الوحش الذي يسكن في غابات الأرز في جبال لبنان. وفي رؤيا أخرى لكلكامش:

... أنا وجاموس وحشي كنا في عراك:

كانت صرخة ترن وتشق الأرض،

وكانت عواصف غبارة تملأ السماء دخانا،

وكنت أنا أمامه أجابهه

(إذ ذاك رجل) أمسكني... بذراعي، جذبني...

و(سقاني) ماء من قربته.

(قال انكيدو): "يا صديقي، إن الإله الذي نذهب إليه (يختلف) عنه.

... هذا الجاموس الذي رأيته، هو شمس (إله) النور،

إنه سيمسك بيدنا في المحن (لابات، ص 198) بتصرف.

وهنا نرى أن دلالة (الجبل) ترمز إلى الأعلى بمعني الطيران أو الفوقية وتنتهي بمعني (الانتصار) على خمبابا، ودلالة الجاموس ترمز إلى القوة وهو الإله، وسنتابع دلالة الرمزية في النماذج القادمة.

كما نلاحظ قوة الصورة والعاطفة ودقة وصف الحركة في هذه النصوص ما يشير إلى رقي الأدب البابلي.

- **أمثلة لتأويل الحلم عند البابليين**:

ونجد في المدونات البابلية أمثلة لتأويلات الأحلام:

- وإن نزل أحد إلى باطن الأرض وحياه ميت، فإن حائطاً سيسقط عليه ويقتله، أما إذا قبله ميت فإنه سينال البركة.
- وأن حلم شخص أن له بستاناً كبيراً لا حد له، فإن ما يملكه سيفني (روثن، ص 60).

ومثل هذا التأويل نجده شائعاً في مجتمعاتنا المعاصرة، فتحية الميت تؤول بالخير أو الشر، ولكن الغرابة في تأويل قبلة الميت ورمزها إلى البركة وربما يرجع ذلك إلى معتقد ما عند البابليين، والحلم بالملك الكثير يرمز إلى الضد وهو فناء الملك وهذا أيضا من تأويلات المجتمع العربي.

تأويل الحلم عند الآشوريين:

- إذا خرج إدرار الرجل في الحلم وملأ الشوارع فتصادر أملاكه وتعطى للمدينة.
- إذا حلم الرجل أن إدراره اتجه إلى الأعلى، إلى السماء فسيكون الابن الذي أنجبه ذلك الرجل مهماً، غير أن أيامه ستكون قصيرة.
- إذا أعطى شخص في الحلم إلى المحتلم عجلة فسيكون له توأم (ساكز، ص 217).

لا نجد تعليقا مناسبا لرمزية (الإدرار) على مصادرة الأملاك أو الإنجاب أو قصر العمر وربما يكون الإدرار رمزاً للاستهانة بالآلهة أو الحكام وعدم احترامهم والتي تؤدي إلى هلاك الشخص آنذاك كأن يمتنع عن دفع ضريبة للكاهن أو الدولة وذلك يعني أنه لا يحترمها فيعاقب بالموت، ويمكن أن نجد رمزاً مناسباً للعلاقة بين العجلة وولادة توأم، لأن المركبة في العهد البابلي ذات إطارين.

- **الأحلام عند الفراعنة**:

يذكر الدكتور (حسن كمال) أن (Alan H. Gardiner) قدم شرحاً لما جاء بكتاب الأحلام الفرعوني:

وهو عبارة عن ورقة من البردي. يرجع إلى زمن الأسرة 12 (2000- 1790 ق.م) (لوح 4 سطر 1-13) وهذه بعض الأمثلة لتأويلاتهم:

يرى وجهه كالفهد..... جيد..... ذلك يعني سيصبح رئيساً.

يرى قطة كبيرة..... جيد..... ذلك يعني سيحصد حصاداً كثيراً.

يقتل ثوراً..... جيد..... ذلك يعني يقتل أعداءه.

يرى نفسه ميتاً..... جيد..... ذلك يعني سيعيش طويلاً.

تشب النار في سريره... سيء..... ذلك يعني هجران زوجته له.

يأكل لحم ثور..... سيء..... ذلك يعني يتوقع مشاجرة.

يطفئ ناراً بالماء..... سيء..... ذلك يعني نهاية أملاكه.

(كمال، حسن، ص ص 553- 554) بتصرف،، فالثور هنا يرمز إلى القوة والعدوانية والعراك، ورأينا أن الجاموس عند البابليين يرمز إلى العراك أو القوة أو الإله، وربما يشير هذا إلى تجانس المعتقدات عند البابليين والمصريين، ورؤية الإنسان نفسه ميتاً أوّلها الحلم إلى عمر طويل، ذلك ما نجده في تأويل الأحلام في وادي الرافدين قديماً وفي معتقداتنا الشعبية اللاحقة. وهجران الزوجة لزوجها يشير إلى أن الافتراق قد يكون بيد الزوجة عند الفراعنة أو إن حريق السرير يرمز إلى الهجران والافتراق وبصورة ما يعني تفكك الأسرة.

حلم تحوتمس:

نقش على لوح حجري منصوب بين ذراعي أبي الهول يحكي قصة تحوتمس الرابع (1420- 1411 ق.م):

أنه رأى أبا الهول في الحلم ووعده إذا هو أزال الأتربة حوله أن يجلسه على عرش مصر، ولما استيقظ أقسم أنه سيحقق رغبة المعبود وقد نفذ ذلك بعد توليه الملك بعدما توفي (أمنحوتب) الثاني (كمال، حسن، ص 555) ولنا أن نقارن بين معطيات هذا الحلم وحلم جوديا، فالحلمان يصدران من الآلهة كأمر أو وعدٍ

وهي أحلام صريحة بغض النظر عن كونها تحقيق رغبة للحالم أو أنها مختلفة إلا أنها تحقق هدف وهو الحكم استغلالاً لمعتقدات الناس وإلا لماذا لا تُصدر الآلهة أحلاماً رمزية والتي كثيراً ما نجدها في مدوناتهم.

الأحلام التنبؤية في المعتقدات الدينية:

لا يعني تقديمنا لظاهرة الأحلام في الحضارات القديمة أنها أكثر سبقاً للنصوص الدينية، فقد تكون النصوص الدينية سابقة لنشأة الحضارات أو متزامنة معها، وسنري رؤيا النبي إبراهيم (ع) قد تزامنت مع حضارة بابل القديمة والتي يصل عمقها التاريخي في حوالي 2000 ق.م، وهذا الأمر متروك لعلم الأديان والحضارات المقارن.

جاء في التوراة- الإصحاح الحادي والأربعين:

فقال فرعون ليوسف إني كنت في حلمي واقفاً على شاطئ النهر. وهو ذا سبع بقرات طالعة من النهر سمينة اللحم وحسنة الصورة.. ثم هو ذا سبع بقرات أخرى طالعة وراءها مهزولة وقبيحة الصورة جداً... فأكلت البقرات الرقيقة والقبيحة البقرات السبع الأولى السمينة... واستيقظت ثم رأيت في حلمي وهو ذا سبع سنابل طالعة في ساق واحد ممتلئة وحسنة ثم هو ذا سبع سنابل يابسة رقيقة ملفوحة بالريح الشرقية نابتة وراءها فابتلعت السنابل الرقيقة السنابل السبع الحسنة فقلت للسحرة ولم يكن من يخبرني... (سفر التكوين، الإصحاح الحادي والأربعون) بتصرف، وسنناقش مفهوم الرمزية التي وردت في هذه الرؤيا لاحقاً.

الحلم التنبؤي في التراث الهندي:

(حلم الملكة مايا والدة بوذا)

رأت أربعة ملوك عظماء يرفعونها في سريرها ويأخذونها إلى جبال الهملايا... ثم رأت زوجات هؤلاء الملوك الأربعة. يأتين إليها فيأخذنها إلى بحيرة (أنوتانا) ويغمسنها في الماء ليزلن عنها الصبغة البشرية.... واستيقظت الملكة في اليوم التالي وقصت حلمها للملك.

فدعا الملك أعلام البراهمة، واستفسرهم فقال البراهمة:

لا يأخذنك الهم أيها الملك فقد حَمَلتْ الملكة ذكراً. ولو سكن ذلك الولد بيتاً فسيكون ملكاً. وإن ترك داره وخرج من أحضان العالم فسيصبح بوذا....

وحَمَلت الملكة "مايا" ولما أن جاءها أوانها رغبت في الذهاب إلى بيت أهلها. وهي في الطريق ذهبت إلى جذع شجرة كبيرة... اهتزت بالمخاض فوضعت وليدها.

عند مولد بوذا ظهر في السماء ضوء لامع. (ديورانت، ج3، ص 66) بتصرف.

ونلاحظ بعض الصور والأحداث التي وردت في هذه الوحدة الانثروبولوجية تتشابه مع حالة ولادة السيد المسيح (ع) إذ أن ولادته كانت قرب نخلةٍ، فأكلت مريم (ع) من رطبها، وعند مولد بوذا ظهر في السماء ضوء لامع، وقد ورد في الإنجيل أن هنالك نجماً ظهر لامعا في الشرق عند ولادة السيد المسيح (متى، الإصحاح الثاني).

كما أن استدعاء الملك لأعلام البراهمة، مستفسراً عن تأويل الحلم، تذكر باستدعاء فرعون للمفسرين لتأويل حلمه كما جاء في التوارة. وهنا يأتي تساؤل أيهما أضفى على الآخر هذه الأحداث؟ ذلك ما نأمل أن يتناوله المختصون في مجال علم الأديان المقارن.

- **الأحلام الاستكشافية في الإنجيل**:

ورد في إنجيل متى (فلما مات هيرودس إذا ملاك الرب قد ظهر في حلم ليوسف في مصر *قائلاً قم وخذ الصبي وأمه واذهب إلى أرض إسرائيل* لأنه قد مات الذين كانوا يطلبونه نفس الصبي) (متى، الإصحاح الثاني) وهذا النوع من الحلم النمط الاستكشافي لأن الحدث وهو وفاة (هيرودس) قد سبق زمن الرؤيا. والرؤيا هنا ذات مضمون إخباري صريح ويوسف خطيب مريم حسب الإنجيل.

- **الأحلام التنبؤية في القرآن الكريم**:

وفي القرآن الكريم ورد ذكر الرؤيا في آيات عديدة ويمكن أن نستقرئ منها ثلاثة أصناف:

1- الأحلام الرمزية:

في قوله تعالى على لسان يوسف: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا والشَّمْسَ والْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4)) (يوسف: 4) والسجود هنا بمعني الدخول في ولايته أو حكمه وليس بالمعني الاصطلاحي الفقهي.

فالأحد عشر كوكباً هم أخوة يوسف والشمس والقمر هما والداه، وهنا نلاحظ وضوح رمزية الإبدال.

وفي قوله تعالى عن لسان فرعون ملك مصر (وقَالَ المِلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وسَبْعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا المِلأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إن كُنتُمْ لِلرُّؤيَا تَعْبُرُونَ) (يوسف: 43).

فالبقرات السبع السمان والسنبلات الخضر كناية عن وفرة الزرع والضرع والبقرات السبع العجاف والسنبلات اليابسات كناية عن القحط.

والمتأمل في عناصر الرؤيا يدرك سريعاً ما تقصده رموزها، وتكاد تصرح بالمحتوى وذلك ما يسمى (بالسهل الممتنع) فلا يحتاج التأويل إلى استقراء مشوش للدلالات الرمزية، فالطعام والعيش من شؤون الإنسان المهمة.

2- أحلام الاختبار الخاصة:

وهذا النوع من الأحلام عادة ما يحصل للأنبياء بصفة اختبار لهم كما حدث للنبي إبراهيم (ع) بعد إتمام بناء الكعبة في المكان الحالي عينه:

(وبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ (101) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)) (الصافات).

ونستنتج من هذه الرؤيا أن الاعتقاد بظاهرة الأحلام قد نضج في تلك الحقبة التاريخية في زمن النبي إبراهيم إلى الدرجة التي جعلته ينفذ محتوى الحلم مع مضمونه التراجيدي. ولم يحاول تأويله بمفهوم الرمزية أو مفهوم الضد) كما يحصل في تأويل الأحلام المكدرة، كما يشير الحدث إلى أن الرؤيا أحد أساليب الوحي الإلهي إلى الأنبياء مما يزيد في قدسيتها.

وقد وردت هذه الحادثة في التوراة ولكن الاختلاف أن الذبيح المفترض كان إسحاق وأن موضع الذبح في جبل الرب كما ذكر (سفر التكوين، 22، 14).

3- الإخبار عن الأحداث في المستقبل:

جاء في الإخبار عن فتح مكة والبشارة للمؤمنين من خلال رؤيا رآها الرسول (ص) في منامه وأخبر بها أصحابه: (لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المسْجِدَ الحَرَامَ إن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ ومُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27)) (الفتح: 27).

أليس من المتوقع لو لم يتم الفتح لتساءل الناس عن حقيقة الأمر؟ وكيف يخبرهم عن أمر لم يحصل؟ وقد تحقق فتح مكة، وهذا النوع من الأحلام التنبؤية (ذات المحتوى الصريح).

نماذج أنثروبولوجية:

إنموذج رقم (1): كتاب تعبير الرؤيا تأليف: أرطاميدورس الأفسسي.

عاش الأفسسي اليوناني في القرن الثاني للميلاد، وكتابه من أشهر المؤلفات في هذا المجال، إن لم يكن أول ما ألف في تأويل الأحلام بهذا التصنيف وهذا الحجم عند اليونانيين والرومان حسب متابعات الباحث لذلك.

ومما يثير الاندهاش أنه كيف كان الأقدمون يؤولون الأحلام بهذه المنهجية التي اعتمد عليها من جاء بعدهم.

والمتتبع لكتب تأويل الأحلام يجد معالم مهمة وكثيرة وتفاصيل قد اقتبست من أرطاميدورس، ولكن فرويد منهجها على وفق موضوعات وعناوين كمفهوم (الرمزية)، ولذا يعد كتاب أرطاميدورس فتحاً فكرياً مهماً إذا ما أضفنا عمقه التاريخي الذي يثير لدينا تساؤلاً كيف كان يفكر الأقدمون، إضافة إلى بعد المسافة الفكرية المجدبة بين القرن العشرين والقرن الثاني بعد الميلاد.

ويشير إلى أن الأقدمين فسروا الأحلام التنبؤية أنها من عند الله أما رأيه فيقول (اعني بقولي إنها تأتي من عند الله كما جرت العادة في تسمية جميع الأشياء التي تأتي مما لا نتوقعه) (الأفسسي، ص 32) وقد أشار لها في عدة مواضع بقوله (فسرها الأوائل بكذا وكذا). ونستنتج من هذا أن هنالك من سبقه في تأويل الأحلام.

وفيما يلي عرض موجز لهذا الكتاب:

1- تناول الأحلام التنبؤية فقال عنها:

(الرؤيا التي تدل على ما سيكون أما الأضغاث فإنما تدل على الشيء الحاضر) ويذكر مثلاً على ذلك:

(مثل إنسان رأي كأن رجلاً قد طعنه فلما أصبح وخرج من موضعه ضربه ذلك الرجل على كتفه في الموضع الذي رأى في منامه أنه ضربه فيه) (الافسسي، ص 7-11) وهذا من النصوص النادرة عند الأقدمين للإشارة إلى الأحلام التنبؤية ذات المحتوى الصريح.

2- أنواع الأحلام:

إن بعضها محمود في الظاهر والباطن، وبعضها محمود في الظاهر مذموم في الباطن، وبعضها مذموم بالظاهر محمود الباطن (الأفسسي، ص 28).

3- مؤثرات الجسم الداخلية –على حد التعبير الحديث- يقول:

(كما إن الأكل المجاوز للاعتدال لا يدع صاحبه أن يرى رؤيات صادقة) (الأفسسي، ص 33).

4- معتقدات أهل البلد:

معرفة المعتقدات عند أهل البلد تسهل تأويل الحلم إذ يقول (فإن السمك تأكله الناس ما خلا بلاد سوريا، وأهل مصر يكرمون السباع وبعض الطيور... وإن الإنسان يسأل عن سنن البلدان ويتعلمها وإن بعض الأشياء من عادات أهل بلدة تكون محمودة والأشياء الخارجة عنها تكون غير محمودة) (الافسسي، ص 35).

5- الرمزية (حسب مفاهيم فرويد):

يقول أرطاميدورس (إذا رأى في المنام تيناً في وقته فإنه خير والتين الأبيض خير من التين الأسود، والتين في غير وقته يدل على حسد يعرض لصاحب الرؤيا، وذلك لأن اليونانيين القدماء يسمون الحسد باسم التين (الافسسي، ص 146).

ورؤية الماعز الأبيض أقل شراً من الماعز الأسود في الرؤيا لمن كان يسير في البحر لأن اليونانيين القدماء يسمون الأمواج الكبيرة باسم الماعز (الافسسي، ص 218).

وإذا رأى الإنسان كأنه قد سقط بعض أسنانه يدل على هلاك أحد من أهله، وحسب موقع السن وإن الأسنان من الناحية اليمنى تدل على الذكور والأسنان في الجهة اليسرى تدل على الإناث، وإن الأضراس تدل على الأشياء النفسية وإن الفم يرمز عنده للبيت والأسنان هم أفراد الأسرة (الافسسي، ص 71) وهذا ما هو متداول في التفكير الانثروبولوجي في المجتمع العربي ويبدو أن هذه الفكرة قديمة جداً، علماً بأن رمزية أحلام الأسنان عند فرويد ذات مدلول جنسي (فرويد، ص 487).

والمرأة الفاجرة تشبه بالكرة وذلك لأن الكره لا تبقى عند أحد بل تصير من واحد لآخر (الافسسي، ص 115) وعلى هذا النسق يؤول كثير من الأحلام.

6- إبدال معني بمعني أخر:

يقول (إن إنسانا رأى إن أباه يحترق في النار فعرض أن مات صاحب الرؤيا نفسه، فصار أبوه بسبب اغتمامه عليه بمنزلة من يحترق بالنار غماً) (الافسسي، ص 16).

7- تأويلات عامة:

ومن رأى إنه يأكل سمكاً مالحاً فإنه يدل على خير (الافسسي، ص 143) وإن رأى الإنسان كأنه يطير وقد ارتفع عن الأرض وكان رأسه نحو الهواء ورجلاه نحو الأرض فإن ذلك دليل خير لمن رأى هذه الرؤيا (الافسسي، ص 347).

فإن رأى إنه يطير بدون جناح يدل على خوف وشدة تعرض لمن رآها. وأن رأى إنه يطير فوق القراميد والبيوت والأزقة يدل على اضطراب وإن أمور نفسه غير ثابتة (الافسسي، ص 347). علماً بأن أحلام الطيران يؤولها فرويد برغبات جنسية واضطرابات نفسية أيضاً.

وبهذا العرض الموجز توضح لنا أنواع التأويلات القديمة والتي أثرت بالفكر الإنساني ومنهجية التأويل.

إنموذج رقم2: نماذج من كتب تأويل الأحلام في المجتمع العربي:

هنالك مؤلفات عديدة في المجتمع العربي تناولت تأويل الأحلام اخترنا منها ما يمثل ثلاثة قرون.

أ- كتاب تأويل الأحلام (المنسوب) لابن سيرين المتوفى سنة 110 هـ (تُراجع نسبة الكتاب لابن سيرين في تعقيب آخر هذه الدراسة).

ب- كتاب تفسير الأحلام لابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة 276 هـ.

ج- كتاب التعبير في الرؤيا لنصر بن يعقوب القادري الدينوري المتوفى سنة 410 هـ.

بعد استقراء هذه النماذج من الكتب اتضح أنها اتبعت نمطاً متقارباً إن لم يكن متطابقاً في نمط التأويل منذ القرن الثاني للميلاد على عهد الأفسسي.

فقد انتهجت مفهوم (الرمزية) التي تترجم نفسها بالأمثال والأقوال والحكم والآيات الدينية، ورموز الفواكه ومكونات الفلك والماء والنار والموت والحيوانات وأعضاء جسم الإنسان ووجه الاختلاف إنها ضمنت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشعر العربي في الترميز ولم تغفل هذه الكتب مؤثرات اختلاف البلدان في الثقافة والمعتقدات وخصوصية الإنسان ويمكن تمييز صنفين منها وهما:

الصنف الأول: دلالة المفهوم حسب المعتقدات المتداولة:

(فالسمك يعني الخير، وموت الشخص يعني حياته، ورؤية الكبش يعني القائد).

رؤية الطبيب تعني الرزق الحلال والشفاء والفرج ويعلل ذلك بقصة مريم العذراء (عليها السلام) ورؤية البيض في وعاء يدل على الجواري لقوله تعالى: (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ (49)) الصافات 49.

والتاج إذا رأته امرأة على رأسها فإنها تتزوج رجلاً رفيع المستوى وأن كانت حاملاً ولدت غلاماً.

ورؤية الياقوت في الحلم فإنه يفسر عند الراغب في الزواج، بأنه يتزوج امرأة حسناء جميلة ذات دين، لقوله تعالى: (كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والْمَرْجَانُ) الرحمن 58.

والحديد يعني البأس والقوة لقوله تعالى: (وأَنزَلْنَا الحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ومَنَافِعُ لِلنَّاسِ...) الحديد 25.

فإن رأى إن دجاجته باضت فإنه يرزق ولداً والبيض المطبوخ رزق، ومن أكل البيض نيئاً فإنه يأكل مالاً حراماً. والرمزية هنا مشوشة فليس هنالك ما يرمز إلى علاقة البيض النيئ بالمال الحرام وربما ذلك تبعاً للمفاهيم الاجتماعية السائدة في المجتمع آنذاك.

الصنف الثاني: تأويلات دون أن يكون لها مؤشر انثروبولوجي:

إن رؤية الزئبق يدل في الحلم على خلف الموعد والخيانة والنفاق وإتباع الهوى وأن من رأى بيده شيء من الزئبق فإنه مذبذب في دينه متابع لهواه، خائن، غير مؤتمن وأكله لا خير فيه.

والنفط يعني في الحلم المال الحرام وقيل امرأة مفسدة ومن صب عليه نفطاً أصابه مكروه من قبل السلطان.

وليس هناك من الموروث الشعبي في القصص والأساطير والحكايات ما يؤيد دلالة (الزئبق أو النفط) وربما ترمز حركة الزئبق المترجرجة إلى التذبذب، ولكن ما علاقة التذبذب بالدين؟.

البعد المعرفي- النفسي:

نماذج من الاعتقاد بالأحلام وتأثيرها على السلوك الفردي والجمعي (أحد محاور الهدف الثالث من الدراسة):

من حيث تأثير الأحلام على السلوك الجمعي والفردي، يتبادر لنا أسلوب اتخاذ القرار عند حكام البابليين والفراعنة، فلا يقطعون في حرب أو سلم أو بناء معبد إلا أن يظهر لهم الإله في الحلم.

ولم بتغير الأمر كثيراً في معتقدات الفرد والمجتمع فهنالك من يمتنع عن زواج أو سفر أو مشروع تجاري لأنه رأى حلماً لم يسره.

ومن خلال خبرتنا الأكاديمية في علم النفس فقد وجدنا حالات كثيرة مؤلمة بسبب الاعتقاد بالأحلام الرمزية والأحلام الصريحة خصوصاً، فقد يصل الأمر إلى حالة الطلاق أو التوجس من الصديق وسوء الظن بالآخرين، ولهذا عمدنا إلى طرح هذا الموضوع كمحور من المنظور المعرفي النفسي ونبهنا إلى أهمية معرفة مصادر الحلم والرمزية وتشوشها وضوابط التمييز بين أنواع الأحلام.

ومن المنظور الإنثروبولوجي نستعرض الأمثلة التالية:

- ذكر القادري (من رأى ميتاً ناداه من حيث لا يراه فأجابه، فإن الحي يموت)(القادري، ج1، ص 545). فإلى أي مدى يستثار ويتكدر الحالم إذا مر عليه مثل هذا الحلم واعتقد أنه يتحقق؟

وهذه الأحلام لو تحققت لكان الكثير ممن يحملون قد توفوا وذلك ما لم يحصل، وهذا ما يؤيده تجربة كل منا.

- قدم رجل على قرية الضحى في اليمن، قال: يا أيها الناس رأيت النبي (ص) في المنام وسمعته انه يقول: من قبل قدم الفقيه إسماعيل الحضرمي دخل الجنة، ويروى عن مفتي بمدينة زبيد أنه قال: وقع في نفسي من ذلك شيء، فلما دخلت على الحضرمي دخل الجنة، قال: مرحبا بك جئت لتقبل قدمي، ثم مد رجليه فقبلتهما (الشرجي الزبيدي، ص 99).
- حلم أم عنقود:

في سنة 645 هـ (قبل سقوط بغداد 656 هـ) ..... أصاب الناس ببغداد أمراض وبائية ومات بذلك خلق عظيم. فرأت امرأة من أهل بغداد حلماً: كأن امرأة تحدثت معها من بئر ملاصقة لسور سوق السلطان وقالت لها: أنا جنية أُعرفُ (بأم عنقود)، وإن ابني (عنقود) مات ولم تعزوني فيه وأنا قد غضبت من ذلك وهو ذا أخنق الناس. فأشاعت تلك المرأة ذلك المنام وعرفتهم البئر فقصدها خلق كثير لاسيما النساء، نصبن هناك خيمة ونُحْنَ فيها بما صورته:

(أم عنقود اعذرينا...) وألقي فيها الدنانير والثياب، وأشعلت القناديل، وقبح أهل العلم ذلك، فطُمَّ البئر (الكتبي، ص 13).

- الأحلام والإعداد القتالي: حلم الخلفية الواثق بالله (سد يأجوج ومأجوج):

قال (سلام الترجمان) إن الخليفة العباسي (الواثق بالله) أرى في المنام:

(إن السد الذي بناه ذو القرنين بيننا وبين يأجوج ومأجوج مفتوح) فأرعبه هذا المنام، فأمرني بقصده، وضم خمسين رجلاً.... فحين وصنا وسألنا أهل هذه البلاد:

هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج، فذكروا أنهم رأوا عدداً فوق الشرفات فهبت ريح سوداء، فألتهم إلى جانبنا، فكان مقدار الواحد منهم في رأي العين شبراً ونصف شبر، وكان بين خروجنا ورجوعنا ثمانية عشر شهراً. قال ياقوت الحموي بعد روايته لهذا الخبر: الله اعلم بصحة ذلك (ضيف، ص 180) (بتصرف).

والتساؤل الآن لماذا قصد المفتي الحضرمي لتقبيل رجله؟ فالذي دعاء إلى هذا السلوك تصور معرفي عن الأحلام، ولماذا تجمع الناس رجالاً ونساءً لترضية أم عنقود؟ ولماذا جهز الخليفة الواثق بالله جيشاً؟ كل ذلك نمط سلوكي (مخرجات) لمدخلات معرفية حول الاعتقاد بالأحلام دون معرفة نوعية الحلم أو مصادره، ذلك ما يهدف إليه علم النفس بمصطلح (تعديل البنى المعرفية).

ما يخص الهدف الثاني من هذه الدراسة:

بعض الأحلام الموثقة:

- حلم (راين Rhine, J.B) (حلم استكشافي):

يذكر راين: أن سيدة رأت في المنام أن أخاها يدخل بيته ثم يُدخِل حصانيه في الإسطبل فيحل أربطتهما ويتجه إلى مخزن العلف ويسحب مسدسه ويطلق النار على نفسه، وقد رأته بوضوح وهو يتدحرج ميتاً وسقط المسدس من يده واستيقظت مذعورة.

الحدث الواقعي:

أصرت على زوجها أن يذهبا بالعربة إلى بيت أخيها. دُهشت كثيراً حين رأت جسد أخيها مطروحاً في نفس المكان الذي رأته في الحلم، والمسدس ساقط بجانبه تماماً كالصورة التي حلمت بها. ويؤكد راين صحة هذه القصة ويعتمد على صدق من رواها (الوردي، ص 57) (راين أشهر علماء الباراسايكولوجي، دعته الحادثة أن يؤسس فرعاً في جامعة (ديوك) في أمريكا وساعده (وليم ماكدوجل) رئيس قسم علم النفس في الجامعة).

- حلم (طفل لندبرج) (حلم استكشافي):

قام (موراي وويلر) لاستكشاف الوظيفة الاستكشافية للأحلام لواقعة اختطاف (طفل لندبرج).

وقد نشر موراي بعد عدة أيام من الاختطاف إعلاناً في جريدة بوسطن يذكر فيه أن عيادة (هارفرد) النفسية يهمها الحصول على الأحلام المتعلقة بواقعة اختطاف الطفل وقد تسلم الباحثان قبل العثور على الطفل (1300) حلماً تتعلق بالواقعة وقد تم بعد ذلك العثور على الجثة في قبر قليل العمق في غابة بالقرب من طريق يقع على بعد عدة أميال من منزل (لندبرج) ولم يكن مع الجثة ردءا النوم الذي كان يلبسه الطفل عند اختطافه وقد مات فوراً نتيجة كسر الجمجمة، وقد عدت هذه المؤشرات أبعاداً للموضوعية في الأحلام وقد وجد الباحثان أن حوالي 5% فقط من الأحلام (75 حلماً) أشارت إلى أن الطفل قد مات من بينها

سبعة فقط (أقل من 1%) تضمنت أوصافاً تتصل ولو بصورة عامة بتلك الأحداث التي أوضحت من قبل. واستخلصوا أربعة أحلام من (1300) حلماً كانت تتضمن إشارات خاصة للفقرات الثلاثة الرئيسية (الموت– الدفن في قبر– الموقع بين الأشجار). ويبدو من غير المتوقع أن تمثل الأحلام الأربعة التي اقتربت من الهدف تغلبا على عامل الصدفة (هول ولندزي، ص 264) وتعقيباً على ذلك إننا نتوقع ما نشاء من الاحتمالات إرادياً، ولكننا لا نستطيع أن نتحكم بالأحلام، وحتى لو كانت لدينا رغبة في موضوع الحلم فلا يمكن أن يتخلص الحلم من التشويهات، وقد يحلم الشخص ألاف الأحلام ويتحقق حلم واحد فهل لنا أن نُنكر حصول هذا الحلم التنبؤي؟ والتعامل الإحصائي لا يناسب هذا الموضوع حيث تستوجب البيانات المستخرجة مستوى الدلالة ولا يمكن هنا أن نعالج كميتين إحصائياً وبينهما فرق شاسع ونقصد به (1300) حلماً عادياً مقابل (أربعة) أحلام استكشافية، ولذا يمكن أن نعد الأحلام الأربعة أحلاماً استكشافية.

- حلم القطار (حلم تنبؤي):

سجل العالم (J.W.Dunn) أحلامه التي تتطابق مع الواقع لمدة عقد من الزمن وقد تجاوزت العشرين حلماً ومنها:

إذ أنه رأى خط قطار مرتفع عن الأرض وتعرف بالمكان في حلمه إذ يقع شمال جسر "فرتف نورث" في اسكوتلنده ورأى عدة عربات من القطار وهي تسقط من المنحدر وعندما أفاق حاول تعيين زمن الحادث كما كان منوهاً عنه في الحلم فكان منتصف شهر أبريل وأخبر أخته في الحلم (توثيق) (حصل حلمه في خريف 1913).

الحدث الواقعي: وفي 14 أبريل من ربيع السنة التالية سقط القطار المعروف بالاسكتلندي الطائر من خطه المرتفع وفي مكان يقارب موقع سقوطه في الحلم (كمال، علي، ص 648).

- حلم الجعران (حلم تنبؤي):

أثار هذا النوع من الأحلام اهتمام "كارل يونج" من جراء حادثة عرضت له إذ يقول: (كنت أعالج شابة وكانت تسرد لي في أثناء العلاج حلماً رأته فقد حلمت أن شخصاً ما أعطاها جعراناً ذهبياً وكنت اجلس قبالتها وكان الشباك وراء ظهري وفجأة سمعت صوتاً ورائي مثل صوت من يدق بلطف على الزجاج وعندما التفتُ رأيتُ حشرة ترتطم بزجاج النافذة من الخارج ففتحت النافذة ودخلت الحشرة إلى داخل الغرفة وكانت أشبه بالجعران الذهبي فالجعران الذهبي لا يوجد في خطوط العرض الأوربية فقد كانت الحشرة خنفسة

جغرافية (سيتونيا أورانا) اندفعت للدخول في الغرفة المظلمة على العكس من غريزتها وفي تلك اللحظة بالذات) (الحمداني، ص 175). وذلك ما يجعل (يونج) يولي عناية خاصة لهذه الأحلام.

- حلم ملكة جمال ايطاليا (حلم تنبؤي):

وقد ذكر "هانس كورت" عدة أحلام تحذيرية وهو أحد العلماء الفرنسيين المتابعين لدراسة الأحلام منذ أربعين عاماً ومنها (حلم مارسيلا ماريايني). وهي إحدى ملكات جمال إيطاليا إذ كتبت لأمها الرسالة الآتية قبل موعد رحلتها بالطائرة: أمي العزيزة:

آمل أن تتخذ هذه الرسالة طريقاً غير طريقي وأن تصل في طائرة غير طائرتي فقد رأيت الليلة الماضية حلماً مرعباً فقد تحطمت الطائرة التي أقلها على جبل هائل وسقطت في هاوية عميقة ولم يعد حولي سوى النار.... وقد مرضتُ من هول هذا الحلم وكنت اختنق. لا أريد أن أخيفك يا أمي ولكن قلبي يخفق أنه كابوس حقيقي ومع ذلك لا أجرؤ العدول عن رحلتي فسوف أكون موضع سخرية. وقبل أربع ساعات من إقلاع الطائرة اتصلت مارسيلا بالدكتور "وليم تيرزي" كانت تشكو من الحمى ودقات قلبها غير منتظمة وقد بذلك الطبيب جهداً لتهدئتها. وحصلت الكارثة إذ تحطمت الطائرة على الوجه الصخري لجبل (تير مينيليو) في الابنين وبعد يومين وصلت الرسالة لأمها (هانس، كورت، ص 52) وكان التوثيق لهذا الحلم متمثلاً برسالة الفتاة لأمها وكذلك بشهادة الطبيب الذي اتصلت به قبل رحلتها.

- حلم والدة ماري جان (حلم استكشافي):

يذكر (رو، وكربنر، وسولفان) حالة امرأة من منيسوتا عاملة في مسكن للأشخاص المسنين ورأت في حلمها يوما من الأيام ابنتها (ماري جان) التي كانت تعيش في كاليفورنيا. إنها تمشي خلفها وتقدم على معانقتها. صرخ الأم (يا رب، هذه ماري جان) وهي تلاحظ برعب، سحنة ابنتها، وسماتها المتعبة وإن فرائصها ترتعد من البرد. وإنها روت بالتفصيل لمديرها ما كانت قد رأته في حلما (توثيق). والحال أن ماري جان فاجأت أمها بدخول منزلها على غير انتظار بعد ثلاثة أيام من حلم أمها وكانت ماري جان قد قادت سيارتها منطلقة من لوس أنجلوس مسافة طويلة حتى منيسوتا وكانت قد تعرضت خلال السفر لعاصفة هوجاء من الثلج وأوشكت مرتين لأن تتعرض لحادث وقد جمدها من البرد وجعلها شاحبة (رو، كربنر، سولفان، ص 246) وهنا نعد إخبار الحالمة بأحداث الحلم توثيقاً مسبقاً للحم، يضاف إلى ذلك أن مجيء ماري إلى أمها

دون موعد مسبق مؤشر على ضعف التوقعات الشعورية للحدث، وربما كان الحلم تنبؤياً إذا احتسبنا المسافة الطويلة بين منيسوتا ولوس أنجلوس، فربما كان الحلم في بداية شروع ابنتها بالسفر.

- حلم زوجة هال:

يذكر (رو، وكرنبر، وسولفان) أيضا شهادة امرأة كان زوجها الأول قدر انخرط في القوة الجوية للولايات المتحدة الأمريكية واتصلت أمها التي كانت تعيش في الجوار لابنتها يوماً وكانت ابنتها تنتحب على الطرف الثاني من الهاتف، فاستفسرت الأم عن أسباب بكائها. قالت البنت (ماما كنت أغفو نصف غفوة على مقعد وحلمت ضرباً من الحلم ومع ذلك لم أكن أنام فرأيت طائرة تسقط كما لو كنت أراها على شاشة التلفاز، إنني واثقة أن "هال" قتل أو أصيب بجروح بالغة). وبذلت الأم قصارى جهدها لتطمئن ابنتها ولكن هذه الابنة ظلت مقتنعة بصحة مخاوفها ووصل الخبر إليهما بعد ذلك بقليل. في حين كان هال يطير على رأس سربه كانت طائرته قد أسقطت وكان هال قد أدخل المستشفي من جراء جروح بالغة الخطورة إذ أنه سرح فيما بعد من الخدمة (رو، كربنر، سولفان، ص 293) ولم يتضح من أحداث الحلم أنه تنبؤي أو استكشافي. (والعالم رو إمبرواز من المهتمين بالأحلام التنبؤية وقد كانت مراسلات بينه وبين الباحث الحالي حول الأحلام عام 1989).

- حلم المقبرة (تنبؤي):

يذكر الباحث الحالي الحلم الآتي:

أحداث ممهدة للحلم (شهادتي).

قدمت إحدى الطالبات من قسم علم النفس كلية الآداب جامعة بغداد (من سكنة محافظة ديالي) لبعض أساتذتها (وأنا منهم) بعض أكياس الحلوى بمناسبة عقد قرانها، فباركتُ لها عقد القران وبعد مدة سألتها عن أحوالها وعلاقتها مع خطيبها، فأجابت بأنها بخير إلا أن والدتها تبدو غير مرتاحة للخطوبة فاستفسرت عن السبب؟ قالت: لا أدري!. فقلت لها حاولي إن تصارحي والدتك بالموضوع ربما تعرف شيئاً لا تعرفينه حتى تحتاطي للأمر، وبلغي سلامي عليها، فردت الأم السلام وقات (إن شاء الله خيراً) وقد تم عقد قرانها في 1990/10/2 بعد مدة خطوبة.

(شهادة الطالبة):

أخبرتني الطالبة بتقرير مكتوب (لاحظت أمي –في مدة الخطوبة وقبل العقد بشهر– قلقة جداً عندما أتكلم معها ولا أعلم السبب إذ لو قلتُ لها إنني اشتريتُ أنا وخطيبي شيئا، لا تظهر الفرح بذلك وحتى لو قلت لها إن خطيبي أهداني شيئاً لا أرى عليها ارتياحاً والأكثر من ذلك تقول لي لا تخبري أحداً بما تشترينه أنت وخطيبك وكانت تبرر ذلك بالخوف من الحسد، وفي يوم 1991/3/23 بعد حرب الخليج الثانية استشهد خطيبي وذهبت وشيعته مع أمي والمشيعين وأخذت مع أمي مكاناً في إحدى سيارات التشييع. وذهبوا بجثمانه الى إحدى المقابر، فقالت لي أمي هامسة (إن هذا ليس مكانه في هذه المقبرة) وحصل لبس في عملية الدفن فتحرك موكب التشييع إلى مقبرة أخرى وحينما دخلنا المقبرة واقتربنا من مكان الدفن لوضع جثمانه همست أمي قائلة (هذا هو مكانه). وعرفت أمى ذلك لأنها رأت المكان في الحلم.

(شهادة الأم):

وكان حلم الأم بخطيب ابنتها كما أفادت الأم بناءً على طلبي:

(إن خطيبك أخذني إلى مكان فيه غرفة صغيرة ذات باب واحد خالية من الشبابيك وقال لي انظري –إنه بيتي– فقلت له: يا ولدي هناك بيتك عند أهلك حيث غرفتك ورد عليّ قائلاً: لا يا عمتي هذا بيتي وهذه غرفتي وليس هناك في بيت أهلي، وكان المكان واسعاً ذو شجيرات وأعشاب). وهذه الصورة المكانية تنطبق على مقبرة الشيخ ضاري حيث أنها ذات أشجار وأعشاب بخلاف مقبرة "محمد سكران".

وبهذا الحلم تم التقاطع بين ثلاث شهادات. الأولى شهادتي والثانية شهادة الفتاة والثالثة شهادة الأم ولذا عد هذا الحلم من الأحلام التنبؤية ذات التوثيق المسبق. (جاسم، ص 59).

وعوداً لمادة هذا البحث في الأحلام الثمانية التي ذكرت نجد إن وحدة المطابقة والتي تتسم بأنها غير متوقعة عند الحالم أو أنها احتمال يصعب توقعه من عدة احتمالات تتضح في المخطط الآتي:

عنوان الحلم	حدث الحلم	حدث الواقع	نوع المطابقة
حلم راين	جل يطلق النار على نفسه	كذلك	غير متوقعة من الحالم
طفل لندبرج	موت– دفن– موقع بين الأشجار	كذلك	عدة احتمالات وهنا احتمال واحد مطابق
حلم القطار	سقوط قطار قرب جسر نرتف نورث	سقوط القطار بالمكان نفسه تقريباً	غير متوقعة

حلم الجعران	أعطاها شخص جعراناً ذهبياً	ارتطام الجعران في الشباك في إيطاليا	غير متوقعة
حلم ملكة جمال ايطاليا	سقوط الطائرة التي تقلها على جبل وحولها نار	سقطت طائرتها على جبل تيرمينيليو في ايطاليا	غير متوقعة
حلم والدة ماري جان	ترى ابنتها متعبة وشاحبة وترتعد من البرد	تعرضت ابنتها لعاصفة ثلجية	عدة احتمالات واحتمال واحد هو الذي حدث
حلم المقبرة	خطيب ابنتها موجود في غرفة لها باب وليس لها شباك وحولها شجيرات	دُفن في غرفة بمقبرة	عدة احتمالات واحتمال واحد هو الذي حدث

يُعد توثيق هذه الأحلام بأسلوب منهجي إنجازاً مهماً وتأتي أهمية التوثيق بالشهادة المسبقة أي أن الباحثين سجلوا شهادتهم أو شهادات الحالمين أو أساليب التوثيق بشهادة الآخرين قبل حصول الحدث الواقعي كما في الأحلام الثمانية المذكورة.

وهذا الأمر نادر جداً في الدراسات النفسية أو الدراسات الباراسايكولوجية بخاصة، وذلك ما يعبر عنه هول وليندري بقولهما:

(إن من المعتقدات الشائعة عن الأحلام، أنها تتيح أحياناً بياناً دقيقاً لأحداث.. ويمكن أن يكون ذا دلالة عظيمة إذا تحقق) (هول وليندزي، ص 263).

ومن أشهر الدراسات العلمية الموثقة في تاريخ الباراسايكولوجي بعامة وفي مجال الأحلام بخاصة، ما وجده (بالمر) بأن هناك ارتباطاً فوق مستوى المصادفة في الأحلام الإستشفافية (Palmer, 1982, p55). وهذا يعني قيامه بعدة دراسات في هذا المجال حتى يستطيع أن يستنتج مثل هذا الحكم الإحصائي.

كما أن دراسة (بيرسنجر وكربنر) أشارت إلى أن التخاطر في الأحلام يكون أكثر قوة (ارتباطاً) خلال 24 ساعة بزيادة أو نقصان ثلاث ساعات (Krippner, 1989, p110) &Presinger.

وقد تبين لنا أن المدة التي فصلت بين الحلم والحدث الواقعي في الأحلام الثمانية في هذه الدراسة امتدت من سنة إلى يوم (حلم القطار: سنة، حلم المقبرة: خمسة أشهر، حلم مارسيلا: يوم).

وقد أكد كربنر –أستاذ في مجال الباراسايكولوجي في معهد (Say brook) في الولايات المتحدة الأمريكية– للباحث الحالي خلال مراسلات علمية بيننا خلال عامي 1989– 1990م وجود مثل هذا الارتباط بين الأحلام الاستكشافية وبين الأحداث الواقعية.

وبذلك فإن هذه الدراسة قد وثقت هذه الأحلام والتي توافرت فيها بيانات موضوعية ولهذا فهي تكتسب دلالة مهمة بموضوع الأحلام الاستشفافية.

واتضح لنا أن الأحلام التنبؤية والاستكشافية ذات ضوابط وأسس تحليل كما في وحدة المطابقة التي تطرقنا إليها مما يشير إلى أن مفهوم وحدة المطابقة الموضحة في الجدول أعلاه إجراء منهجي مناسب لتشخيص الحلم الاستشفافي.

الهدف المعرفي- النفسي:

(المعالجة المعرفية لتخفيف حالة التشاؤم- المحور الثاني)

وما تقدم يضعنا أمام تصور فلسفي في غاية الأهمية ألا وهو فلسفة (القضاء والقدر) وكلنا يعرف ماذا يترتب على ذلك من توجيه السلوك فإن بعض الأحداث يمكن أن نتعرف بها قبل حصولها، إذن فهي تحصل واقعياً ولكن هناك تساؤلات؟

هل أن كل الأحداث التي تحصل لنا بالأحلام تحصل في الواقع الذي نعيشه؟

أو أن الأحلام تبين بعض ما يحدث لنا؟

وماذا نفعل إزاء فلسفة القضاء والقدر إذا تحققت بعض الأحلام؟.

ولكي نوضح معني القدر نتطرق إلى مفهوم القدر فلسفياً وكذلك مفهوم الصدفة، ونتحسس العلاقة بينهما وبين الأحلام. إذ تعني (القدرية Fatalism) من المنظور الفلسفي والكلامي أن الأفعال والأحداث مقدرة على الإنسان سلفاً. وتعني (الحتمية Diterminism) من المنظور العلمي هي التنبؤ بالأحداث استناداً لقوانين علمية تحدد العلل والمعلولات، ومن المنظور النفسي فإن الأحداث لها أسبابها الخارجية كتأثير الآخرين والظروف، وأسباب داخلية كالعوامل الوراثية والدوافع والانفعالات والأفكار (دافيدوف، ص 62) (دسوقي، ص 382) لذا فإنها مفهوم فلسفي علمي يميل إليه العلماء التجريبيون وعلماء النفس وعلى وفق مفهوم الحتمية يمكننا التنبؤ بالنتائج إذا تعرفنا بالظروف المحيطة بالحدث أو إذا تعرفنا بأسبابها، والحتمية لا

تختلف عن القدرية كثيراً إلا أن الحتمية متفائلة في معرفة الأسباب والنتائج في حين لا يتضمن مفهوم القدرية ذلك إلى التسليم للقدر.

أما (المصادفة Chance) فهي حادث مجهول العلة كما يعتقد (راسل) أو أنها حدث لا تعليل له كما عند (تشارلس بيرس ووليم جيمس) (الحفني، ص 723) ويصنفها (يون) إلى أحداث لا معني لها وأحداث ذات معني وهي تخرج عن المألوف (الحمداني، ص 180) وترى نظرية الاحتمالات إن المصادفة تحصل بسبب عدة عوامل تحدث آثار مجتمعة يمكن التنبؤ بها (دسوقي، ص539).

فإلى أي مدى تخضع الأحلام الاستشفافية لمفهوم القدرية أم المصادفة؟

تبين لنا أن بعض الأحلام تكشف بعض ما يحدث لنا، ذلك هو أحد محاور الدراسة.

وبناءً على ذلك نعدل اعتقادنا بموضوعية حول التطير من جميع الأحلام، ونتأمل فيها ونؤولها تأويلاً علمياً منهجياً على وفق المفاهيم التي عرضت في هذه الدراسة (المصادر الحسية والنفسية- ضوابط التمييز- وحدة المطابقة)، وبذلك نقلص مساحة المجهول المكدر لدينا.

وإذا استثنينا الأحلام الاستكشافية فماذا نقول بالأحلام التنبؤية التي تكشف ما يحصل مستقبلاً، أليس هو القضاء أم المصادفة؟ تلك هي الدلالة العظيمة التي يشير إليها علماء النفس.

فمن المعتقدات الدينية في المجتمع المسلم مؤشرات مهمة ندرجها من المنظور الإنثروبولوجي.

فالمصادفة كمفهوم وعلاقته بالأحلام من الصعوبة تناوله بعجالة، لأننا أصلاً ليس لدينا بديهيات أو مسلمات نبني عليها فهمنا للمصادفة في الظواهر الطبيعية في الحياة ناهيك عن العلاقة بينها وبين الأحلام التنبؤية والتي هي سلوك لا شعوري بمنتهي الغموض.

وباختصار نشير إلى أن الأحلام التنبؤية مع ندرتها ولكن تفردها بالحدث وسبقها للزمن يجعلها خارج إطار المصادفة، والأحلام التي قدمناها في هذه الدراسة ومدتها الزمنية تؤيد ذلك.

والقدر من المنظور الفلسفي ومنظور علم الكلام لابد وأن يحصل كالتعرض للحوادث، ولكن مساحة المناقشة تتمثل في تبديل القدر أي تقديم القدر أو تأخيره أو نوعية الحدث أو شدته بناءً على مفاهيم دينية، مع علمنا إن مسألة القضاء والقدر مسلك صعب على التفكير، ومن أجل تطمين أنفسنا تشجعنا على ذلك بعض المفاهيم الدينية والتي تشير إلى تغيرات القدر:

كـ (الاستغفار- رضا الوالدين والإحسان لهما- الدعاء- التعوذ- الصدقة المادية والمعنوية- صلة الرحم، فعن الرسول (ص) (من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه) (البخاري، حديث 5986).

- وما يحصل ليلة القدرة من شؤون جديدة على الناس والكون يوضح ما نذهب إليه، قال تعالى: (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (3) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (4)) (سورة الدخان). وهذا يعني أننا في كل عام أمام أمر جديد (قضاء جديد، ورحمة من الله في هذه الليلة).

وبهذا التفسير نكون قد أبعدنا أنفسنا عن الاتكالية والكدر النفسي، اعتماداً على مفهوم فلسفي- كلامي بأن الإنسان ممكن أن يدعو ويستغفر ويتصدق ويتعوذ ويصل الرحم، فالإنسان فعال بمساحة ما.

التوصيات:

أ- العمل على إزاحة التطير أو التوقع التشاؤمي من الأحلام العادية لما يسببه من تعويق نفسي إزاء أهداف النشاء في الحياة (الإقدام على زواج أو تخصص دراسي أو مشروع تجاري أو سفر).

ب- نشر الوعي للتفرقة بين الأحلام العادية والأحلام الاستشفافية (التنبؤية والاستكشافية).

المقترحات:

أ- إعداد دراسات تفريقية بين الأحلام العادية والأحلام الاستشفافية (الاستكشافية والتنبؤية).

ب- إعداد دراسات تفريقية بين الأحلام الاستكشافية والأحلام التنبؤية.

ج- دراسة مقارنة لتأويل الأحلام في حضارتي وادي النيل ووادي الرافدين.

د- دراسة مقارنة لتأثيرات المعتقدات الدينية في تأويل الأحلام بين الحضارات القديمة ومصادر الأديان السماوية.

هـ- دراسة مقارنة لتأويل الأحلام بين الحضارات القديمة والتراث العربي في القرن الرابع الهجري.

تعقيب حول نسبة كتاب (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) لابن سيرين:

1- ذكر ابن النديم في كتابه (الفهرست) أن لابن سيرين كتاب تعبير الرؤيا (ابن النديم، ص 378) وهناك مدة زمنية كبيرة بين إبن سيرين وابن النديم المتوفى، سنة 380هـ، ولم يذكر موجزاً عن الكتاب كعادته.

2- وذلك (ابن خلكان) أن له اليد الطولى في تعبير الرؤيا وتوفي سنة (110هـ) بالبصرة (ابن خلكان، ص 35) وذكر عنه (البغدادي) أنه كان عالماً بالقضاء (البغدادي، ص 331) ولم يذكر شيئاً عن تأويله للأحلام.

وأن المترجمين (البغدادي وابن خلكان) لم يذكرا أنه ألف كتاباً أو رسالة بتأويل الأحلام.

3- في الكتاب إشارات واضحة يذكر فيها روايات تأويل ابن سيرين كما يذكر لغيره (قال فلان أيضاً) فيبدو أن الكتاب أُلف من قبل مجهول.

4- ويرى على الوردي إن ابن سيرين توفي سنة (108هـ) ومعنى ذلك أنه عاش في عصر لم يتم فيه تدوين الكتب، وبعد مائة عام ترجم حنين بن إسحاق كتاب (أرطاميدورس)، وقد تأثر المسلمون بمنهجه، فحذو حذوه في تأليف كتبهم، ولم ينسوا مع ذلك أن يضعوا اسم ابن سيرين عليها (الوردي، ص 31).

5- وما يُشاع أن تفسير الأحلام من إملاء الإمام جعفر الصادق أحد أئمة المسلمين، وإن ابن سيرين هو الذي كتب عن الصادق تأويلاته للأحلام ذلك ما وسع من شعبية الكتاب، وهذا يدعو إلى التقصي، إذ أن ابن سيرين توفي عام (110هـ) وإن مدة حياة الإمام الصادق (83هـ- 148هـ) ذلك ما يعني أن عمر الإمام الصادق (سبعة وعشرون) عاماً حين توفي ابن سيرين.

6- يذكر (الذهبي) أن أبا الوليد ابن جريح (المتوفى 150هـ) وسعيد ابن أبي عروبة (المتوفى 156هـ) أول من صنف ا لكتب، (الذهبي، ص 169) وتأسيساً على ذلك أن التدوين غير موجود في القرن الأول ومنتصف القرن الثاني.

7- ويرى فهمي سعيد في مقدمة التعبير في الرؤيا لنصر بن يعقوب الدينوري القادري:

إن ما ينسب لابن سيرين المتوفى سنة (110هـ) ما هو إلا نسخة عن كتاب تعبير الرؤيا للدينوري القادري وقد ذكر بعض المؤشرات على ذلك (القادري- المقدمة).

المراجع:

1- القرآن الكريم.

2- ابن خلكان (1998). وفيات الأعيان، ج4، لبنان: دار الكتب العلمية.

3- ابن سيرين، محمد (1248هـ). منتخب الكلام في تفسير الأحلام، مصر: دار الطباعة الخديوية.

4- ابن سينا، حسين بن عبد الله (1375هـ). الإشارات والتنبيهات، ج3، إيران: دار البلاغة.

5- ابن النديم، محمد بن إسحق (لا.ت). الفهرست، مصر: طبعة فلوجل.

6- الافسسي، ارطاميدورس (1964). تعبير الرؤى، ترجمة حنين بن إسحاق 260هـ، تحقيق توفيق مهند، دمشق: منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية.

7- البخاري، محمد بن إسماعيل (2004). صحيح البخاري، بيروت: دار صادر.

8- البغدادي، أحمد بن علي (لا. ت). تاريخ بغداد، ج5، لبنان: دار الكتب العلمية.

9- الحفني، عبد المنعم (لا. ت). الموسوعة الفلسفية، بيروت: دار ابن زيدون.

10- الحمداني، موفق (1990). السحر وعلم النفس، بغداد: شركة المعرفة.

11- الذهبي، شمس الدين (1955). تذكرة الحفاظ، ج2، ط1، الهند: حيدر آ باد.

12- الشرجي، الزبيدي (1986). طبقات الخواص، بيروت: الدار اليمنية.

13- العهد الجديد، إنجيل متى (لا. ت). بيروت: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.

14- العهد القديم، سفر التكوين (1983). مونت كارلو ، موناكو: دار الكتاب المقدس في العالم العربي.

15- الكتبي، محمد بن شاكر (1980). عيون التواريخ، ج2، تحقيق فيصل السامر ونبيلة داود، بغداد: دار الرشيد للنشر.

16- القادري الدينوري، نصر بن يعقوب (1997). كتاب التعبير في الرؤيا، تحقيق فهمي سعد، بيروت: عالم الكتب.

17- الوردي، علي (1959). الأحلام بين العلم والعقيدة، بغداد: مطبعة الرابطة.

18- بدوي، نجيب يوسف (1954). التحليل الوظيفي للأحلام التنبؤية، الكتاب السنوي في علم النفس، مصر: دار المعارف.

19- برجسون، هنري (2008). الطاقة الروحية، ترجمة سامي الدروبي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

20- جاسم، باسم فارس (1998). المحتوى الظاهر للحلم وتحققه في الواقع، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد 44، ص ص 47- 70.

21- دافيدوف، لينـدا (1980). مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب وآخرون، القاهرة: دار ماكجروهيل.

22- دسوقي، كمال (لا، ت). ذخيرة علم النفس، القاهرة: الدار الدولية للنشر.

23- ديورانت، ول وايريل (لا، ت). قصة الحضارة (الهند)، ترجمة محمد بدران، بيروت: دار الجيل.

24- رو، امبرواز، ستانلي كريبنر، جيرلد سولفان (1993). العلم وقدرات الإنسان النفسية، ترجمة وجيه أسعد، دمشق: دار البشائر.

25- روثن، مرغريت (1980). علم البابليين، ترجمة أسعد حبي، بغداد: دار الرشيد للنشر.

26- ساكز، هاري (1979). عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان، العراق: وزارة التعليم العالي.

27- سوسة، أحمد (1980). حضارة وادي الرافدين، بغداد: دار الرشيد.

28- ضيف، شوقي (2004). عجائب وأساطير، مصر: دار الهلال.

29- فروم، إربك (1990). الحكايات والأساطير، ترجمة صلاح حاتم، سوريا: دار الحوار للنشر.

30- فرويد، سيجموند (لا، ت). تفسير الأحلام، ترجمة مصطفى صفوان، القاهرة: دار المعارف.

31- كمال، حسن (1964) الطب المصري القديم، ط3، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

32- كمال، علي (1990). باب النوم وباب الأحلام، ط2، بيروت: دار واسط.

33- لابات، دينيه (1988). المعتقدات الدينية في بلاد الرافدين، ترجمة الأب البيرا بونا ووليد الجادر، جامعة الموصل.

34- مخيمر، صلاح (1975). المدخل إلى الصحة النفسية، ط2، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

35- هانس، كورت (1993). قاموس تفسير الأحلام، ترجمة انطوان حمصي، دمشق: دار الفاضل.

36- هول، كالفين، وليندزي جاردنر (1978). نظريات الشخصية، ط2، ترجمة فرج أحمد فرج وقدري حفني ولطفي فطيم، القاهرة: دار الشايع للنشر.

37- Freud. S. (1933). A new scries of introductory Lectures on psycho-analysis . I.N.C. New York: w.w Norton company.

38- Palmer, John(1982). Esp research finding,(in) Krippner.Stanly, advances in parapsychological research ,vol.3.New York .

39- Presinger, Michael & Krippner,Stanly ,(1989). dream Esp experiments and geomagnetic activity (in) The Journal of the American Society for Psychical Research, vol.83.april.

40- Oppenhcim, A. Leo (1956). the interpretation of dreams in the ancient near east, with a translation of an Assyrian dream book, transactions of the American philosophical society, vol.46, part 3: Hardcover.

Foreknowledge & clairvoyance dreams and behavior psycho-anthropological study

Dr. Bascm Fares Gasern
Faculty of Education for Girls
Kofa University

Abstract

This study disclosed that the ancient sophisticated communities interested in explanation of dreams as Babylonian, Assyrian, Pharaohs and Greece through review of samples of archaeological notes .

The sources of religions handled this Phenomenon but religious explanations just were of foreknowledge dreams (symbols).The phylosophists are interested in that B.C and the muslims phylosophists are interested in the 3rdccntury. otherwise the European phylosophists arc interested in the era of renaissance. That attention led to the dogma of publics and therefore Their behavior which led to detectional dreams. This behavior is undevelopment.

Thus, the study differentiated from normal and detectional dreams. This study clarified seven documented dreams by distinguished psychologists of detectional dreams, in addition to just one dream for the author to reply realistic inquiries of dreams.